برلس الى اهل كورنتس فواهاء « انَّ العطاء اشهى من الاخذ » ولم يصرّح متى اخذها امن قول كتاب الاعمال مع كونهِ لم يستشهد مطلقاً بهذا السفر او من قول ابيكورس الفيلسوف وعندنا انهُ اخذهُ من سفر الاعمال

فممَّا تقدَّم ترى انَّ الاختلاف في رواية هذه الكلمة لا يسمح بالقول بانَّ آية الربّ منقولة عن قول ابيكورس الفيلسوف . بل الاحرى ان يقال انَّ صاحب النسخة الواتيكانيَّة كان عالمًا بسفر اعمال الرسل فروى قول ابيكورس على صورة روايتهِ

هذه بعض ملحوظات جمعناها لنبيّن ان كتبة اسفار العهد الجديد لم يأبوا ان يستشهدوا باقوال الحكماء الاقدمين . ولو اردنا تتبُّع هذه المادَّة لوجدنا اتفاقًا في عدَّة الفاظ ومعانٍ غير التي ذكرناها الَّا انَّ هذا الاتفاق غير كافٍ لنجزم القول بأنها منقولة عن القدماء . وما لا يُنكر انَّ في كتابات برلس الرسول ما يُشعر بمعرفتهِ الواسعة بتعليم افلاطون وارسطو وغيرهما حتَّى انهُ يمكن القول بانهُ يوافقهم في تعاليمهِ المنطقيَّة

تاريخ التجارة في الاجيال الغابرة

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس العاديَّات في مكتبنا الشرقي

لقد اغفل العلماء الاقدمون قسمًا مهمًّا من التاريخ فلم يروا فيهِ الَّا ما كان خارجًا فاوردوا الامور على ظواهرها من مواقع وحروب وفتوح ومهاجرات واستعمار . ولا مراء ان ثمَّ شيئًا من التاريخ انما عالهُ ودواعيهِ الخفيَّة لم تستلفت الابصار فبقيت نسيًا منسيًا . امَّا الآن فقد نهض اناس لا يكتفون بما يبدو للعيان بل انهم يسبرون باطن الحوادث ويتوغَّلون الى اسبابها ويجرون عليها الفحص المدقَّق فيكلل النجاح اعمالهم . ولذا اصبح التاريخ قرين الحقيقة يُطلع على الوقائع . ويتقصَّى عللها فيجد فيهِ القارئ نبأً عن الماضي ومثالًا للمستقبل — وفي ايامنا هذه احرزت المباحث الاقتصاديَّة لها مقامًا ساميًا فادخلت التاريخ في طور جديد وما ذلك الَّا لما لها من الاهميَّة في كلّ آنٍ ومكان فطالما حملت الرومانيين واليونان وبعض امم الشرق القديمة على انتهاج خطَّة دون غيرها لأن حياة الأمَّة تقوم بالعمل والكدّ والصناعة والتجارة ورواج السلع واصدارها واستجلابها وعلمّ جرَّاء . فدرس المسائل الاقتصاديَّة والتعمّق بها قاد العلماء المحدثين

الى معرفة كنه كثير من تقلبات الاجيال الغابرة جهل الاقدمون اسبابها الباطنة والاصلية

فواخالة هذه يرى القرّاء الكرام شأن التاريخ الاقتصاديّ والتجاريّ سيّما اذا كان واضعهُ رجلَ علم وتدقيق توفّرت بين يديهِ الموادّ. تلك كانت امنيّة نعلّل بها النفس فحقّقها الاستاذ الالماني سياك الشهير في « تاريخهِ للتجارة عند الاقدمين (١ » وهو كتاب ضخم عدد صفحاته نحو ٣٠٠٠ وفي ذلك دليل اوّل ان حضرة المؤلف اجرى الفحص على مسائل شتّى تجاريّة ووفاها حقّها من التنقيب وبما انهُ احد الاساتذة المشهورين في مدارس التجارة الالمانيّة قد ساعدتهُ مهنتهُ على الخوض في هذه المباحث والفرق بين غثّها وسمينها. لكننا منذ الآن نأخذ عليهِ بعض شوائب حتى نوفيهِ فيما بعد ما يستحقهُ من المدح والثناء. فنقول :

ان التجارة محور حياة الشعوب فلا اعرضتْ عنها بلاد الّا وأنذرت بالانحطاط. ولا ننكر ان الالمان وجّهوا كل اهتمامهم اليها وافرغوا جهدهم بتوسيع نطاقها وتوفير اسبابها حتى ظهر جليًّا ان ثروتهم بل قل حياتهم لا تقوم الّا بالتجارة وهذا ما حدا بالاستاذ سياك الى وضع كتابهِ انّما خصّهُ بمدارس التجارة الالمانية دون غيرها وحصر منفعتهُ بشعبٍ واحد. فاسلوب كهذا تهيج لهُ خواطر الاجانب ويعارض روح الموازنة بين الامم. ولا يسعنا ان نضرب صفحًا عن معايبتين تخفضان نوعًا بمنزلة هذا الكتاب وتحملان العلماء على اسقاطهِ من سلك المؤلّفات العلمية. فان القارئ لا يجد فيهِ شيئًا من المباحث العامّة في التاريخ والاقتصاد الاجتماعي والحقوق والجغرافيّة. ويعلم الكل انهُ دون مسائل كهذه لا سبيل لتأليف كتاب جامع لشتات الفوائد لاسيما اذا كان مدارهُ التجارة. ثم ان حضرة الاستاذ سياك اتحفنا بثلاثة آلاف وجه لكنّهُ لم يذيّلها بحاشية او شرح ولم يشر الى المصادر التي اخذ منها فتركنا مرتابين في الادلّة التي اعتمد عليها ليُثبت وينفي. ومن هذا القبيل ان مقالتي هوفلين (Huvelin) وكانيا (Cagnat) وبسنير (Besncer) المدرجتين في « معجم الاجيال الغابرة » تفوقان كتابهُ علمًا

(١ E. Speck. Handelsgeschichte des Altertums. *Leipzig, Fr. Brandstetter*, 1900-1906. 3 volumes in-8°, de près de 3000 pages Prix: 35 Mk.

ودقّة . وربما وجدنا للاستاذ سياك عذرًا وافيًا بقولنا انهُ لم يضع كتابهُ للعلماء بل للطلبة الذين يتردّدون الى مدارس التجارة الالمانية وعليهِ نهج منهجًا اوفى ببرامجها ومع هذا نحث الجميع على مطالعة هذا المصنَّف فانهم يلفون فيهِ فوائد جمة وبرهانًا لذلك ها نحن نورد اهم موادّهِ واقسامهِ

الجزء الاوَّل : ابتدأ حضرة المؤلف بتحديد التجارة وبتبيان العلاقات اللازمة لها ثم قسمها الى برّيَّة وبحريَّة واظهر طرقها والوسائل لنقلها والسلع التي تُعرض للاتجار من ثمار الارض والحيوانات والمعادن والاخشاب والانسجة والرقاق عند الاقدمين وحركتها وامكنتها . اخيرًا اسهب الكلام باحوال التجارة وهيئتها في الصين والهند وبلاد بابل واشور والعجم ومصر واعطى للفينيقيين المقام الاول بين الامم في فنون الاتجار

الجزء الثاني : استهلّ الاستاذ سياك هذا الجزء بجدول للامصار التي كان يقطنها اليونانيون مع بيان اختلافها في الهواء والتربة ووفرة الغلات ثم اورد تاريخ التجارة في تلك الاصقاع وبيَّن تقلباتها على تعاقب الاجيال منذ حروب تروادة الى القرون المتوسطة . وابحاث كهذه مع سعتها يطالعها القارئ بسهولة ويدَّخر في ذاكرتهِ خلاصتها لان المؤلف قسمها اقسامًا محكمة حسب موادّها وخطرها . ولا جرم انهُ امعن النظر في كتب شتَّى عن احوال الاقدمين ولذا يُبدي رأيهُ في تقدم العلوم والصناعة والفنون في ظهر اني الامم لان ذلك ممَّا يؤول الى نجاح التجارة او تأخرها

الاجزاء الثلاث الاخيرة : خصَّص الاستاذ سياك فصلين طويلين لقرطاجنَّة وبلاد الاتروسك (Etrusques) ثم باشر بتاريخ تجارة رومة فاستغرق ذلك من مؤلفهِ نحو ١٥٠٠ صفحة . وتاريخ رومة التجاري لا يقوم بذاتهِ بل ان علاقتهُ مع السياسة وثيقة المُرى فيرتفع وينخفض لارتفاعها وانخفاضها ويعظم لعظم قوَّة الرومانيين وانتشار سطوتهم واستيلائهم على الاقاليم القاصية والدانية . ولهذا يقسم تاريخ تجارة رومة الى اربعة اقسام كتاريخ سياستها

١ اوائل تجارة رومة

٢ انتشارها الى خارج ايطالية منذ الحروب مع قرطاجنَّة الى ايام القياصرة

٣ بلوغها اوج التقدم في عهد القياصرة الاولين

٤ انحطاطها في الاجيال الاخيرة

لم يعرف الرومانيون في بادئ بدء الّا السيف والمحراث وكل ربح اتاهم من غير هذين المصدرين كان في اعينهم فاسداً . فلا عجب والحالة هذه اذا كانت التجارة والصناعة في خمول تام . ومع ذلك كانت تقام عندهم اسواق للاتجار مرة في الاسبوع تعرض فيها الاغلال وكل ما هو ضروري للمعيشة . اما تجارة الابحار فكانت اوائذ بين ايدي اهل قرطاجنة والاتروسك الّا اننا نجد بعض الرومانيين مقيمين في بلاد الاجانب حتى في الشرق يرسلون منها الى رومة اصناف الحبوب والسلع

ولمّا نشر الشعب الروماني لواء سلطته على الامصار المجاورة تغيّرت حالتهُ التجاريّة وقد دفع الى يديهِ انكسار قرطاجنة كل تجارة الغرب والبحر المتوسط ثم اخذت علاقاتهُ مع الشرق تزداد وتتأصّل من جرّاء الحروب العديدة التي قام بها في مواضع كثيرة . فارتفعت التجارة واقلعت السفن من كل مرافئ المعمور مشحونة باصناف الحبوب فسحت لاوليـاء الامر بتوزيع المآكل مجانًا على الشعب . وتوفّرت عندئذٍ اسباب الرفاهية والترف فتراخت عادات شظف العيش القديم حتى عمدت الحكومة الى سنّ قوانين لحسم هذا الداء

وفي ايام القياصرة نهضت التجارة والصناعة نهضةً عظيمةً لوحدة السياسة وللامن السائد في كل قطر فانفتحت في وجه الشعب طرق الامصار واستفزّتهُ الارباح فوسع علاقاتهِ مع الامم وبعث بتجارهِ في اوقات معلومة حتّى الهند وجزيرة سيلان واقام محطات للتجارة على شواطئ « ملبار » وولج بعض الرومانيين بلاد الحبشة وواحات الصحراء . وكانت القوافل تصعد على ضفّتي الفرات وتصل الى بترا وتدمر وتبيع الحرير والابنوس والتوابل والعبيد والحجارة الكريمة والافيال والوحوش الضارية وانواع العطر

لكنّ هذا اليسر لم يتجاوز ايام القياصرة الانطونيين فاخذت الزراعة بالانحطاط لقلة العَمَلَة وانتشرت الكرمة بحيث اصبح الخمر لوفرته بخس الثمن . وتوقّفت دواليب الصناعة لان الشعب أَلِف الانهماك في الملاذ وتجنّب الكدّ والعمل فأثّر ذلك بالتجارة لاسيما ان الحروب في الداخل والخارج اطلقت ايدي اللصوص والقراصنة فاستولى الرعب على التجّار . ورغب القيصر ديوكليانوس باصلاح الخلل فخفق مسعاهُ فلم يرجع عن قصدهِ لكنهُ تلافيًا لآفة اعظم اصدر امرًا عيّن بهِ اثمان السلع وساعات الشغل

فكان لذلك بعض النجاح لكن ما عتمت اركان التجارة ان تداعت لكثرة الضرائب وللسخرات التي كان يقاسيها التجار من جرّاء انتقال الجيوش من اقليم الى آخر. هذه خلاصة الكتاب الذي وضعهُ الاستاذ سياك في « تاريخ التجارة عند الاقدمين » . ولقد اعرب في عملهِ عن سعة علم ودقّة نظر فاصبح مصنّفهُ دستورًا يرجع اليهِ الالمان في امورهم التجاريّة. والحق يقال انهُ اوفى كتاب في هذا الموضوع لكننا نأسف كما سبق لنا القول لضربهِ عن ذكر المصادر التي اخذ عنها وعن بعض شروح كان بوسعهِ ان يلقّها ليصير تأليفهُ تأليفًا علميًا

مطبوعات بشرقية جديدة

القواعد المنطقيّة

للاب تونجورجي اليسوعي عرّبها الخوري جرجس فرج صفير الاروني

طُبع في المطبعة المصريّة في الاسكندريّة (سنة ١٩٠٦ . ص ٢٤٣)

هو كتاب طائر الشهرة لما ادّى من الخدمات في سبيل العلم الصحيح قد وضعهُ في منتصف الجيل الغابر الاب تونجورجي استاذ الفلسفة في مدينة رومة فاتى واضح العبارة دقيق المعاني جامعًا لشتات قواعد المنطق ولذا تداولتهُ ايدي الوف من الطلبة ولم يزل الى الآن موردًا للراغبين في الاصول المنطقيّة . وهذا ما حدا بحضرة الاب العالم الفاضل الخوري جرجس فرج صفير الاروني النائب البطريركي في الاسكندريّة على نقلهِ من اللاتينيّة الى العربيّة لتعمّ فائدتهُ مدارس الشرق ويتمكّن تلامذتها من نبذ الكلام السفسطي والاستدلال على الحجج الواهنة ودحضها . وقد « ذيّلهُ » حضرة المعرّب « بحواشٍ وشروح وامثلة استخرجها من كلام القوم ومزج الشرح بالمشروح منبّهًا على ذلك اما بالقلابين واما بذكر المأخوذ عنهُ واما بكلمةٍ تدلّ عليهِ الى ان جاء الكتاب مفهمًا مبينًا مفيدًا يجد فيهِ المطالع من نكت التدقيقات ودقائق الاسرار المنطقيّة وفرائد التحقيقات وصعاب المشكلات المذلّلة وبدائع العرفان والترتيب ما لا يجدهُ في غيرهِ . ولا اطناب بقولنا انهُ يغني المتعلّم عن المعلّم »

فنسأل الله ان يجزل جزاء حضرة المعرّب الفاضل ويمدّ بحياتهِ وقواهُ ليثابر على